الماركسي ويتجاوز التفسيرات التبسيطية للعلاقة بين الأوساط الفكرية ومقولات الانتاج، التي يرى أنها ليست علاقة مباشرة كما يتوهم البعض[68].

ويرى أنه لا ينبغي الخلط بين الأدب والتحريض أو الدعاية، فالقيمة الخاصة للرواية كامنة فيما تقترحه على الإنسان، وهذا شيء مغاير للأوامر السياسية أو للمطالب، أما ما تقترحه الرواية على الإنسان فهو كيفية معرفة الآخرين وكذا فهم الذات لنفسها، والمحبة والشغف... الخ، كل هذا يُغَلِّفُ في نظره الإديولوجيا في النتاج الأدبي تلك التي تُمَاثِلُ عقيدةً مكتوبة أو غير مكتوبة لطبقة اجتماعية. ويعتقد أن هذا المضمون الإديولوجي يظل خفياً، ولكنه ينكشف عند تحليل النص فقط، ومن ثم فهو يرفض الأدب الذي ينطلق من أطروحة معينة Thèse[69]. ويبقى المجهود التوضيحي الذي قدمه فكتور سيرج عاماً لأنه لم يحدثنا أبداً عن الطريقة التي تدخل بها الإديولوجيا إلى الرواية باعتبارها موقفاً للكاتب، فهو يركز على أن الجانب الإبداعي في العمل الأدبي بما يتضمن من معطيات لاشعورية وشعورية موجهة، بدقة نحو ما يجعل من الأدب عملاً بعيداً عن التعبير الإديولوجي المباشر[70].

ونعتقد أن سيرج يشير إلى نمط روائي متميز لا ينطبق على جميع تلك النماذج الروائية التي استشهد بها وعلى الأخصّ وروايات بالزاك لأن النموذج الذي يتحدث عنه تكون فيه الإديولوجيا ظاهرة في الرواية كدعوة يُدَافَعُ عنها، ولكنها مع ذلك لا تظهر لنا كدعوة مباشرة لأن الأديب يتوسط لذلك بأساليب مختلفة بعضها جمالي وبعضها دلالي يحاول من خلالها أن يجعل أَفْكَارَهُ مُغَلَّفَةً بإهاب خارجي له سلطةٌ آمِرَة، ولكنها خفيةٌ في الوقت نفسه. ولا تحضر الإديولوجيات الأخرى في هذه الروايات التي هي في العمق ذات طابع منولوجي إلا كظلال أمام الإديولوجية المفردة التي تُهَيْمِنُ على مجموع العالم الروائي. غير أن هذه الهيمنة تتم عادة بوسائل فنية لا حدود لها، وإلاّ تحولت الرواية إلى خطاب إديولوجي مباشر وهو ما يؤثر دون شك على قيمتها الفنية.

ويمكننا بعد كل ما قدمناه عن علاقة الإديولوجيا بالرواية أن نلخص جميع أشكال هذه العلاقات من خلال النقط الرئيسية التالية:

- الرواية نسق من العلاقات والنسق لا يتأسس في ذاته إلاّ من خلال التناقضات.
- المادة الأساسية لخلق تناقضات الرواية هي الأفكار الإديولوجية الجاهزة سلفاً في الواقع، وهي تَدْخُلُ إلى الرواية في وضعين مختلفين: إمّا أنْ تكون كلّ إديولوجية على قدم المساواة مع

---

(68) Victore Serge, Littérature et révolution- Maspero, 1976. P. 27.

(69) Ibid., P. 28.

(70) Ibid., P. 29.